سر الجدار

تأليف

سامر مُحسن

(حتى يُزهر الربيع عليه أن يذبل)

بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة جميع الحقوق

٢٠٢١م-١٤٤٢هـ

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٢١/٤/٢٢٢١)

٨١٩.٩
ازيوت، سامر محسن
سر الجدار/ سامر محسن ازيوت .- إربد: المؤلف، ٢٠٢١.
( ) ص.
ر. إ: (٢٠٢١/٤/٢٢٢١).
الواصفات: النصوص الأدبية// الأدب العربي// العصر الحديث

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من دائرة المكتبة الوطنية

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٢١م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من قبل المؤلف

ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٦٧-٩١٠-١ ردمك

دار الكتاب الثقافي

www.dar-alketab.com

للطباعة والنشر والتوزيع
الأردن- اربد
شارع إيدون إشارة الإسكان
تلفون/ whats App
(٩٦٢-٠٧٧٧٧٧٦٨١٠)
Dar-Alketab
PUBLISHERS
Irbid- Jordan
E-mail:
dar_alkitab1@hotmail.com

المدير العام

بلال ابراهيم الشلول

https://web.facebook.com/daralketab

الإهداء

إلى كل من غفا على مكتبه في منتصف ليلةٍ ظلماء هادئة، مثيرةٍ للنوم يحاول مقاومة تلك الإغراءات الملفتة، وشهوة النوم القاتلة؛ ليبني لنفسه طريقاً إلى حلمه الذي ينتظره عند نهاية الطريق.

إلى كل مَنْ حارب ظروفاً أرهقته وجلس يضع يده أسفل فكه محدقاً كيف يخرج من هذه الظروف حتى يلتقي بالعزيز الصعب.

إلى كل طالب "توجيهي" لديه حلم، هدف يرنو لتحقيقه ولو كلفه ذلك التضحية. مهما حاول اليأس معاندته وحاول الحظ التلاعب بمشاعره فيعيده إلى نقطة البداية بعد قطع مسافةٍ كبيرة لكنه يُحارب دون كللٍ أو ملل.

المقدمة

يكبر ذلك الطفل الذي وُلد في أحد أشهر تلك السنة فيخرج من مرحلة العطف الزائد، وعدم الاكتراث للأخطاء، وعدم تحمل المسؤولية إلى شخص مسؤول ذو أهميةٍ ورأي.

على ذلك الصغير الذي كبر أن يسعى لمستقبله الغامض وأن يتخذ المواقف في حياته، وآراء ثابتة، وأن يؤسس لنفسه نهضةً تفيده حتى يُزيل الغموض عن سنينه القادمة.

تمر السنين بتفاصيلها، ويعبر الوقت كعقرب يجري في ساعة حائطٍ مُتقشرٍ، فيخرج هذا الطفل من المرحلة الأساسية التي تقدر بعشر سنواتٍ إجبارية، حاملاً متاعه منتقلاً إلى مرحلته الثانوية، إما أن يترك تعليمه ويبني لنفسه طريقاً من هنا، أو أن يكمل ما بدأ به من عشر سنوات فيتشعب إما بالمسار المهني أو الأكاديمي.

في هذه المرحلة يعبر هذا المراهق (طفل الأمس) في المرحلة الثانوية سنة ثم يصطدم بعدها بجدارٍ طويل إما

التسلق والعبور وإما الاستسلام والبقاء محدقاً على طول ارتفاعه.

ولا يُسمى الجدار جداراً بعض الحكايات تقول: قد سُمي "بالتوجيهي" نِعْمَ الاسم، من سماه قد أحسنَ الاختيار.

مرت الأجيال وبلغت وانتهى دورها وحان وقت الأجيال الأخرى أن تركب على متن هذا القطار المؤدي إلى ذلك الجدار حتى يبدأ التسلق.

كل جيلٍ يرى نفسه أعظم من الآخر، وكل جيلٍ كان له حكاية مختلفة مع "التوجيهي" إما معيقات على الجيل بأكمله أو على فرد من ذلك الجيل أو الاثنين معا.

وتبقى الأحداث مجرد قصص حتى يتم الوصول لأعلى الجدار، فتصبح ذكريات بسيطة لمرها تلدغ طعماً حلواً عند الابتلاع.

لكن ما أصاب هذه الأجيال كانت مجرد أحداث عادية نفس روتين الأحداث، ونفس حُبْكَة القصة عدا القصص الفردية طبعاً لكن ما اقصده هنا بعد أسطرٍ من التلعثم أن تلك السنين التي عبرت كانت دون مفاجئات دون ظهور اختلافات حقيقية

جذرية كان الاختلاف يُلحظ بالأرقام، سنة مواليد تلك الأجيال سنة ذكرياتهم التي كانوا يتلقونها.

لكن ترتبك الأمور فجأة ويبقى من هم داخل النار أشد تأثرا من المتفرج، خارج النار، بارد الحرارة يستشعر لهيبها لكنَّه يُبدي الآراء بحسب ما تشتهي نفسهُ المدعيةِ للمعرفة.

وبعدْ، فإن هذه النار أحاطت بجيل ٢٠٠٢ حتى أصبحوا القربان لها فلعل تشويه أحلامهم يخفِفُ من لهيبها.

أخرجُ من تلك النار بجراحي، أُلملمُ أنقاضي أحاول أن أكون روائيا وأرويَ ما حصل معي ومع أقراني.

قبلَ أنْ أرتب الأحداث وضعتُ لنفسي حجم الانتقادات التي سأتلقاها من الأجيال السابقة أو القادمة بحجة أنَّ تشبيهي مبالغٌ فيه وأن ما حصل مع ٢٠٠٢ مجرد أحداث بسيطة وأن التساهل قد وصل إلى أقصاه وأن أصحاب القصص نفسها هم من بنوا التاريخ وعانوا وصمدوا ولم يخرجْ أحد منهم يدوّن كالذي دونته أنا، وإنّني وجيلي صورة فنية لطفل رضيع.

فلتَعُدْ بذاكرتك قليلًا لا تقرأ الكلمات والأسطر حتى تُنهي مبكرًا وتذكر أنني ركزت على نقطتين الأولى أنَّ كل جيل يرى

نفسه أعظم من الآخر، والثانية المتفرج البارد على النار ليس كالقابع داخلها يحترق.

بلا قيود أو حدود بلا تخيلات أو أحداث خيالية رُغم مخيلتي الخصبة ستكون قصة مفصّلة، حصلت في سنة قال عنها الجميع أنها أسوء سنة مرت على البشرية ما قبل ولادة عيسى وبعده؛ لفرط الأحداث الفاجعة التي اقترنت مع تاريخ مميز من هذه السنة عاشت فيها البشرية من أفلام الإثارة والتأثر المسرحي، وللحظ العظيم كان على ٢٠٠٢ أن يرتبطوا بهذه السنة فتكون اختباراتهم جزءًا من ٢٠٢٠.

ليس هذا فقط ما حقيقة هذا الجدار العتيق؟ وما هو؟ هل هو مجرد جدار بليد مرئي أم مِنْ وقع الخيال يعيش في أحدى زوايا العقل؟

هذا ما سيكشف عنه عقلي لاحقاً، وإنني قد أُصبتُ باللهفة والحماس الشديدين لأرى ما سره ورأي عقلي فيه.

وفي نهاية المطاف تتكشف الحقيقة خلف هذا الجدار فيكون لغزًا، سَبَّبَ لشارلك هولمز شعورًا بالإحباط لأنه لم يستطع حله!

لا بد من ترك بصمة، ولا بد من كشف الحقائق للعيان ولهذا جهزت إبهامي حتى أبصمَ فلقد جمعتُ أحرف اللغة العربية المقدرة بثمانية وعشرين حرفاً حتى أُبعثر تلك الأحرف لأبتكرَ مجموعة كلمات سلسة لأعبر بأسلوبي الخاص، وتبرعت بكامل قواي العقلية لأروي وأكشف سر الجدار الذي سطع أمامي لحظة تسلقي له ولحظة صناعة الذكريات لي وللأجيال السابقة.

مسلمات "التوجيهي"

في البداية وقبل أن ابدأ الخوض في نزاع الكلمات يُعرف "التوجيهي" بأنه السنة الثانية عشرة من ترتيب الصفوف.

وهو الأكبر ضمن الترتيب عند وزارة التربية والتعليم أما عن طريق العمر فيُقدر بثماني عشرة سنة وهي المرحلة المعترف بها دولياً، مرحلة تُثبت وجود الشخص في المجتمع، ومدى تأثره وتأثيره على الأفراد، وبناء الذات.

ومن منظورٍ شخصي فإن "التوجيهي" هو أحد المراحل المهمة في عمر الفرد، وعليه يحدد لاحقا المسمى الوظيفي أو التخصص الجامعي الذي سيتعمق فيه أكثر وأكثر.

يدخل الطالب هذه المرحلة بقلق وحماس ويختلف مستوى القلق والحماس بين الطالب وزميله.

ويختلف أيضا بالبدء بالمواد المقدرة لهذه السنة حسب طبيعة الشخص منهم من يبدأ من الفصل الثاني من مرحلة "الأول ثانوي" والبعض من عطلة الصيف المؤهِلَة "للتوجيهي" والقسم الأقل يبدأ من بداية دوام المدرسة للسنة الجديدة أو

منتصفها ولربما نهايتها وقسم أخر يبدأ ما قبل مرحلة "الأول ثانوي" أو بدايته.

يُطرح سؤال في البداية مِن قِبَل الطالب عن نسخة الكتب المقررة متى تكون؟ وهل سيتم تغيير المنهاج أم لا؟ وما الاختلافات مثل الإضافة على الكتاب الواحد أو المحذوف منه.

ثم يُطرح السؤال الأقوى والأهم "عند مين بدي أخذ خصوصي"؟

فتبدأ الرحلة المثيرة شديدة التعصب لاختيار أستاذه، فيعود الطالب بذاكرته إلى من هم قبله؛ لأخذ المشورة لا يضيع من يستشير وخصوصا إذا كان الأمر منطقياً.

تبدأ المقارنة عندما يستذكر نتائج طالب معين في تلك المادة ليرجع إلى الأستاذ الذي درّسه أملًا أن يُحصّل نفس تلك العلامة إذا كانت عالية.

يتشتت الطالب ويحتار فيفكر بحرص شديد ويبدأ الخوف يعصف في قلبه كي لا يندم على اختيار الأستاذ.

الأمر مرتبط بحالة نفسية، فإذا عم وصدر أن ذلك الأستاذ ذو طريقة جذابة سوف يقتنع وهميّا بمدى فهمه والأمر يرجع من أين أتى مصدر هذا التعميم.

العقول مختلفة والطرق للوصول إليها تختلف لربما تناسبك لكن لا تناسب غيرك.

ومن منظور شخصي صفات المعلم لا تعتمد على علامات طلابه فقط بل على خبرته في الوزارة المنتمي لها وفي أسئلتها، ونمطها، وكيف تأتي وعلى ماذا يركز الطالب عند دراسته وهذه المواصفات توجد عند الجزء الأعظم من المدرسين لكن يبقى الاختلاف في طريقة الشرح ومتى سيتم شرح هذه الفكرة وتغطية الجزء الأكبر من الأفكار.

ومن هذه المواصفات يختار الطالب لا من إتباع الذي من قبله الحاصل على علامة ممتازة مثلا

لأن العلامة المحصلة هي اجتهاد شخصي من الطالب نفسه وأنه حاول فهم الفكرة بأساليب كثيرة، خذ مثلا اثنين من الأصدقاء يأخذان عند الأستاذ نفسه هذا قد حصّل العلامة الكاملة والآخر لم يُنهي متطلبات النجاح؛ وهذا يعود إلى

الاجتهاد الشخصي حيث الفهم على أستاذه ومدى تعبه وتركيزه قبل الدخول للامتحان وعلى مدى معرفته بأسئلة الوزارة التي تأتي بالفطرة عندما يكثر من حل الأسئلة سواء من بعض الكورسات التعليمية الورقية "الدوسيات" أو أسئلة الوزارة السابقة أو الكتاب المقرر.

بعد أن يخرج الطالب من مرحله اختيار الأستاذ يقف الطالب مرة أخرى كيف ادرس وأبدأ بحفظ، وفهم المواد.؟!

يُطْرَح هذا السؤال بعد أن يعيش الطالب مرحلة "الأول ثانوي" الجزء الأكبر من الطلاب يُهملون هذه المرحلة لأنها كما تسمى "شهر عسل" قُبَيل مرحلة "التوجيهي" فينسى الطالب كيف يدرس أو الدخول في جو الدراسة الطبيعية.

ينسى أن الدراسة النموذجية تحتاج إلى تعب؛ هذا لأنّها تركز على جميع الأفكار ويجب حفظ النص حرفيا حسب الإجابة النموذجية وهذا ما يشكل فارقا كبيرا لأن البعض لم يكن درس هذه الدراسة من قبل.

والبعض لم يكن درس قبل ذلك فيكون "التوجيهي"نقطة تحوله إلى طالب نموذجي والخطوة الأولى تكون صعبة عند الجلوس طويلا لأنه لم يكن قد مشى وتمرّس قبل ذلك.

ومن الناحية النفسية فإن الخوف هو بطل الفيلم الوهمي في مخيلة الطالب فيؤثر على دراسته.

ومن الأدوار البطولية أيضا هو الملل فيشارك الخوف في لعب البطولة لفيلم كامل لأنه من الملل جداً أن تمكث لساعات طويلة جالساً تحاول حفظ نقطة معينة مراراً وتكراراً أو أن تفكر في حل مسألة معينة والعالم الفسيح ينتظرك خارجاً!

لكن على الطالب أن يتعامل مع الأمر بسلاسة ومرونة ويبدأ مواده بالحفظ والتكرار والمراجعة الدورية، وأن يعقد اتفاقاً مع عقله حول مفهوم الحفظ الذي يعاني منه الكثير من الطلاب في المواد المشتركة.

وهنا قد يقع أحدهم بفخ غير متوقع إذ تتجه الأنظار إلى أصحاب المعدلات العالية فيلح عليه بالسؤال عن كيف كان يدرس، وما البرنامج الذي اعتمده للدراسة حتى يتبعه ويقلده لعل هذا الشيء يُمكنّه من جلب المعدل نفسه.

هذا بالفعل خطأ كارثي لأن العقول كما قلنا تختلف، فقبل أن يَطْرَح على ذلك الطالب صاحب العلامة العالية سؤالاً عن برنامجه وكيفية دراسته وما إلى ذلك يطرح عليه قبلها فكرة أستاذه "الخصوصي" كما قلت قبل بضع صفحات.

ولا ينس الفرد أن الظروف تلعب أللاعيبها وتختلف من شخص إلى أخر مثل اختلاف التواقيت من مدينة وأخرى.

أصبح من الجديد لكنها ستكون مسلمة عظيمة لا بل أصبحت من مسلمات "التوجيهي" وهو اختيار نوع أو طريقة تلقي الدرس إما أن يكون تقليديًا أو عن طريق الإنترنت.

كان لا بد من وضع هذه النقطة في البداية عندما يحتار الطالب في الأستاذ الذي سيعطيه تلك المادة، ولكن هذا السؤال يعبر خلسة إلى عقل الطالب في وقت عشوائي فيغير من نظام دراسته أو حتى أستاذه.

بعيدا عن هذا كله لا بد أن يتعرض الطالب إلى الضغط النفسي والإرهاق والخوف وتوقع أسوء الأمور. فذكرت سابقًا عن حجم التساؤلات التي يخوضها الطالب مع عقله.

الدراسة لوقت طويل، صعوبة الحفظ، التأخر في بعض المواد وقلّة الإنجاز، وعدم القدرة على تنظيم الوقت، الانشغال أثناء الدراسة فيصبح الطالب ذو مخيلة خصبة يتخيل الأحداث والمواقف أو يتخيل مشهد تكريمه من الأوائل لأنه درس لمدة نصف ساعة متتالية! ولا ننس المشاعر الجياشة التي تحيط بالطالب فجأة فيتأثر على كلمة وموقف، هذه الأمور لابد وأن تحدث مع أي طالب مهما كان.

وقت الدراسة ينقسم إلى قسمين قسم من الطلاب يختار الصباح الباكر لبدء دراسته والنوم مبكراً، والقسم الآخر يختار الليل كوسيلة للهروب من ضجّة النّهار للدراسة، وهذا يرجع لعقل الطالب ومستوى تركيزه كما ضربنا مثلًا على المدن باختلاف تواقيتها.

من الجانب النفسي بعض الطلاب يأخذ الأمر على محمل الجدية المفرطة فيضغط على نفسه لدرجة الانفجار فيصبح عديم المظهر لا يهتم بنفسه ولا بملابسه ومن هذه المظاهر السائدة أن تكثف لحية الشاب من دون أي اهتمام أو أن يحلق شعر رأسه كاملا أو يزيد من طوله، وعند الفتيات العشوائية

في طريقة وضع الحجاب على رأسها أو عدم تسريح شعرها والاعتناء به.

ومن الأشياء المشتركة هو زيادة الوزن عند البعض؛ لأنه يأخذ مبدأ الأكل المفرط لدرجة الإشباع والدراسة والنوم.

يَحْرِم كثيرٌ من الطلبة أنفسهم من أشياء محببة بداعي عدم التفريط في الوقت فيترك هاتفه وينقطع عن الناس ويبقى جالسًا في المنزل من دون أن يأخذ نزهة للترفية عن نفسه أو فعلًا يستمتع به ليُغير من حالته النفسية ويُروّح عن نفسه هذا الجهد.

وبعض الطلاب يأخذ الأمر على مبدأ "كله توجيهي" فيكون الاستهتار العظيم أساس حياته.

فيعتقد أن الدراسة هي مجرد لعبة صدئة تتحرك ببطارية صغيرة! وهو لا يعرف أن البطارية موجودة لكن تُشحن قطباها من عرق التعب وهمم الطالب الطموح.

كلا الفعلين يخطئ بهما الطالب، فالأصح من كل هذا هو ترتيب الأمور وفق نظام معين وفي توازن شديد لأنَّ الإفراط في عمل شيء ما يؤدي إلى مقته، والروتين إحدى طرق

الانتحار وأشدها تعذيبًا، والاستهتار من قبائح الذنوب التي يفاخر بها الإنسان وأشد العيوب سخافة.

في تلك المرحلة أيضًا أَخبَرْنا عن حساسية الطالب المفرطة وقلبه الرقيق ومشاعره الجياشة التي تؤهله للعب دور بطولي في فيلم رومنسي يتكلم عن الغدر ربما!

من الطلاب من يستغل أهله ومشاعرهم لتنفيذ طلباته فلا يدرس حتى يتم تنفيذ الطلب! وهذا من النادر حدوثه لكنه موجود ولا بد منه عند بعض الطلاب.

من المعروف جدًا أن "التوجيهي" ذو أهمية وصيت عظيمين في المجتمع فما بالك بطالبه؟

الضغط المجتمعي والضغط العائلي يجتمعان مع الضغط النفسي ليتحكموا بالجزء الأكبر من عقل الطالب وما كان ينقص هذه الأشياء إلّا إحساس الطالب المرهف حتى تتم الأمور على أتم وجه، إذا تحكم الإنسان بهذه الأشياء أو استطاع أن يمسك أحاسيسه من التدهور قد فر بجلده وازدادت سرعة تسلقه.

قد يدفع الخوف الزائد والحرص الشديد بعض العائلات على أن يضغطوا على أبنائهم فيضعون حدوداً ضيقة لخروجه من المنزل ويمنعونه من أشياء كثيرة ولا ننس فعل الأمر "ادرس".

هذا الفعل الذي سيرافق الطالب حتى انتهاء المسيرة وسيبقى يسمعها وبكثرة حتى يصل إلى مرحلة الصراع النفسي.

من الناحية العكسية ومن منطق علم النفس "السيكولوجيا" أو الاثنين معا فنقول السيكولوجيا العكسية فإن هنالك رد فعل معاكس يظهر تلقائياً عند الأمر بشيء معين كنتيجة الإجبار والفرض. هذا العلم الذي يهتم بأخذ رد فعل غير متوقع لتصرف ما عن طريق الوصول إلى غريزة الإنسان فتحاول الوصول إلى هدفك من الإنسان بطريقة عكسية وهذا الأمر الذي يجهله الكثير مثلاً عند سماع الطالب كلمة "ادرس" من المنظور الشخصي للأمر أن يستجيب لهذا الفعل لكن العلم النفسي ونفسية الطالب كذلك يفسران عكس ذلك فان الطالب سيصيبه العدوان على الدراسة ولن يدرس فقط لأن وقع صوت كلمة فعل الأمر في نفسه يتردد صداه عاليًا، فبشكل تلقائي لن يقوم بشيء ويُصّر على عدم الدراسة.

حسنًا لقد حاولت أن أُبين جانبي الفلسفي قليلًا لأدعي العلم بشأن هذا الخصوص واهتمامي بالفلاسفة الإغريق فلا يصيبك الملل بشأن هذا الخصوص، ولا تمتدح فلسفتي التي لم تفهم منها شيئًا.

يعتقد كثير من الطلاب، وبعض الأهالي أن زيادة ساعات الدراسة يزيد من العلامة ويزيد من فرصة الحصول على العلامة العالية ككل، فيُطرَح السؤال القوي والمتكرر كم من الوقت علي أن أدرس أو بأسلوب أخر "كم ساعة لازم أدرس" ويطرح سؤال له مكانته في ساحة الأسئلة "أربع ساعات بكفي دراسة أو أربع مواد باليوم بتكون دراستي نموذجية"؟

قد أخطأ من ظن أن الدراسة الكثيرة تجلب العلامة العالية وأن عدم أخذ الاستراحة تزيد من فرصتك في الدراسة وتكون طالبًا نموذجيًا، ويخطئ من يظن أن سؤال أحد الطلاب المتفوقين عن برنامجه وكيف كان يدرس أن هذا سَيفيده تختلف العقول وتختلف الظروف فإن تطبّع العقول هو ما أهلك القبائل من قبل!

تنظيم الوقت وفق برنامج محكم غير مرتبط بالساعات هو أساس النجاح، فلو كان مواعيد دراستك في مواقيت معينة لن تحتمل، فلا تعلم ماذا يحدث مع الإنسان، والروتين كما قلت كان أسلوب تعذيب يستخدم في القرون الوسطى للانتحار أو الموت مللا وهو ما يزيد الأمر إلّا سوءًا.

على الطالب أن يجتهد ويكون قادرا على التعامل مع كل المفاجأت الغير محتملة الحدوث.

التنظيم والدراسة بالطريقة المنظمة هي أساس النجاح والعلامة العالية.

من الناحية الاجتماعية هنالك طرفة تُروى بين الأزقة وتنتشر في أرصفة الشوارع بان المجتمع المحيط عند فترة "التوجيهي" لا يعترفون بالأسماء التي وجدت بل يتغير الاسم بكل بساطة إلى "ايش يا توجيهي".

فيصبح الطالبُ ذا شخصية معروفة في المجتمع يعرفه الجميع حتى أقاربه الذين لا يعرفون متى ولد وأين، تصبح لديهم المعلومة الكاملة بأن هذا الطالب يدرس "التوجيهي" فينتظر الجميع نتائجه ومدى مستوى قدراته العقلية وكيف

يدرس وكيف أنجز بالمواد وما إلى ذلك من الأسئلة التي لا أريد أن أبعثر هذه الصفحة فيها.

وهنا يعيش الطالب في مرحلة لن أقوى على وصفها لأن الكلمات وبكل بساطة هربت مني عندما حاولت التفكير بصورة فنية للتعبير عنها؛ ولذلك تجدني أملأ صفحات هذا الكتاب بالكلام الكثير والملعثم والزائد عن المحتوى حتى أزيد من عدد الصفحات ربما أو حتى أعطيك فكرة عن مدى كتابتي، والحقيقة أنني لم أجد صورة فنية لتلك الحالة فأُغطي عيوبي بعيوب أخرى لم تلحظها.

الضغط النفسي من الداخل، ومن محيطه المصغر الضغط العائلي، ومن المحيط العظيم الضغط الاجتماعي، الرؤوس الثلاثة التي لا أقول عن الطالب ناجح إلّا إذا استطاع التعامل معها.

من منظوري الشخصي ومن خلال بصيرة ملاحظتي الفاشلة، أُخبِرَ أنّ "التوجيهي" ليس مجرد مرحلة مملة من الحفظ والفهم وحمل أشيائي والذهاب للحصة أو المدرسة لا بل مجرد مرحلة نفسية كبّرها المجتمع وأعطاها الحجم الزائد من

فَهِم هذه المعلومة فليوقف القراءة الآن ويذهب إلى متجر الحلويات ويشتري لي ثم يبعثه عن طريق البريد لأنه سوف ينجح وبكل سهولة، وأنا استحق الطرد الذي يحمل الحلوى لأنني وضحتها حتى لو كان أحدهم يعرفها وحتى لو لم أتكلم بالتفصيل.

غيرت رائيي أريد أن أفصل قليلاً، أصبح "التوجيهي" في نظر المجتمع كل شيء ولا يكون النجاح إلّا به فلا ينظر المجتمع إلى أي انجاز للطالب ولا أي موهبة له لكنهُ ينظر لتحصيله في "التوجيهي" رغم عقلانية الأمر إلّا أن هذا التفكير السائد يميل إلى التخلف أيضاً لأنه إذا فشل الطالب تكثر الشائعات عنه وهو ما يسبب له مشكلة نفسية وهذا ما يعيشه كثير من الطلاب اللذين تأجلت فرحتهم الأولى.

غير أن هذا التفكير يُسبب ضغطًا للطالب الحالي، وإنّي أغرق بالضحك كلما تذكرت تلك الطرفة التي تقول: أنّ "التوجيهي" أصبح صراعًا بين الأمهات لِمَ استخدمت أصبح؟ بل انه كان ولكنني تشتت بين الأخوات فاستخدمت أصبح وهي كان وما زال أيضًا.

نعود لموضوعنا وهو صراع الأمهات خصوصًا إذا كان يجمع بينهم صلة قرابة.

كلُ أُمٍ تحاول إثبات قدرات ابنها ويكون لذة الفرح ليس فقط بالنجاح بل بقهر الأم الأخرى.

وكما هو حال الأمهات حال الآباء أيضًا وهو ما يدفع كلا الأبويين للضغط على ولدهما.

لا بد أن تشتعل المنافسة بين أبناء الفصل الواحد أو بين التخصصات المختلفة فتنشأ حرب عظيمة ولنبدأ على سبيل المثال النزاع بين أبناء الفرع العلمي والأدبي أو أي مسارات وفروع أخرى لكن هذا هو النزاع السائد.

فيحاول طالب الفرع العلمي إقناع طالب الفرع الأدبي أن مساره سهل وأن الفرع العلمي أصعب وأقوى وأن طالب الفرع الأدبي يعيش في نعيم مقيم لكنه لا يدرك ذلك!

ولربما تجد الكثير من الطلاب يعيشون تخوف مبالغ من الفرع العلمي! فيغير مساره إلى أي مسار غيره أو يذهب إلى أقرب مثال الفرع الأدبي بحكم أنه أسهل وليس فيه ذلك التعب!

ولربما ساد في المجتمع أن طالب الفرع العلمي أشد ذكاءً ودهاء!

على كل حال فإن الأمر يرجع إلى ميول الطالب وطموحه في حياته سواء إن بحث عن التخصص الطبي أو الهندسي أو غير ذلك من التخصصات الغير موجودة بالفروع الأخرى.

الأمر لا يرجع إلى فكرة العقل ومدى قدرته فكل مسار له ظرفه الخاص به وله صعوبة تخصه، ولا يوجد سهل بكل بساطة لكن الجهد هو من يغير الرؤية.

لربما تجد أحد طلاب الفرع الأدبي عند الرجوع إلى شهادة الصف العاشر قد كان تحصيله في المواد العلمية أكثر من طالب الفرع العلمي نفسه لكن ميوله من دفعه وليس بقصد الصعب والسهل، وهذا المثل قد يُضرب العكس أو بين أي فرع أخر ولربما يتدخل فرع آخر في النزاع.

لكن ما ينتشر أكثر هو جهل مفرط ومقولة قد سمعتها كثيرًا وهي "راسب علمي ولا ناجح أدبي" إلى أي حال وصل هذا الأمر وزاد؟

لقد تفرقت العقول حول هذا المفهوم، فإني أستنكر هذا الكلام وأستنكر على الطالب كثير المقارنات والكلام الأبله الغير موزون والعنصرية، وأستنكر فكرة المجتمع السائدة بأن طالب الفرع العلمي ممنوع أن يتنفس فقط عليه أن يقرأ أو من الممنوع أن يقوم بفعل أي شيء عدا الدراسة وأنه منظم معصوم عن الخطأ، وأنه شخص غير متواضع لأنه بالفرع العلمي! وهي من إحدى الاعتقادات التي دونتها.

وأستنكر المفارقات الشخصية من حيث المظهر وما إلى ذلك من العنصرية الغير منطقية والمضحكة.

أما في ما يخص التنافس بين أبناء الصف الواحد فهو ما يزيد من التشويق والحماس فكل طالب يحلم بالتفوق على زملائه، لكن وعلى مدى السنين تجد طالبًا لا يحب الخير إلّا لنفسه فيحاول نشر روح السلبية بين الطلاب حتى يُشاع.

فيكون الأسلوب بالتكلم عن صعوبة المواد وأنه لم يفهم ولم يحفظ تلك النقطة لصعوبتها ويكون دائم التذمر والشكوى.

وهذا ما يسبب التثبيط للطالب المستمع وخصوصاً إذا كان الطالب متأخراً في المواد أو الذي ينشر السلبية قد قطع مشواراً

كبيراً في المواد مبكراً وكأنه قد أتى من المستقبل ليرجع في الزمن إلى محل قطع الطالب المستمع بالمواد فيعطيه شعور الرهبة والخوف.

ولأن الطالب يكون ذا مشاعر جياشة، أيُّ كلمة تصدر وأي مقولة تُروى تسبب له المعاناة الشديدة.

حتى لو تكلم عن نوعية الأسئلة سيسبب مشاكل نفسية للطالب!

والبعض الأخر من الطلاب يكون كالجاسوس بين الزملاء فيتقمص من كل واحد منهم انجازه رغم أن ذلك لا يؤثر عليه وقد يكثر القول بين الطلاب "أن فلانًا كثير الدراسة" لقد ختم مواده مبكرًا وغير ذلك من الكلام.

على الطالب أن يعيش وحده في الصف عليه أن يكون ذا شخصية منافسة ولديه روح الغَيْريّة وحب الأخرين وعلى قدر النية الحسنة يُرزق المخلوق.

وعليه الانغماس الكلي في هذه المرحلة فلا يهتم للضغط المحيط بل يفكر في مستقبله وكيف سيصل.

بعض الأمور تحدث في "التوجيهي" وهي أن ينصدم الناس في أحد الطلاب المتفوقين إما أنه انحرف عن طريقه أو قد انتكس في علامته وأن الطالب الغير مُتوَقَّع هو من حصّل العلامة العالية.

حسنًا بعيدًا عن كل هذه المواضيع أريد أن أسألك إذا سمعت طالب "توجيهي" ماذا سيخطر على بالك؟ بالفعل ومن الأكيد أنه سيخطر على بالك للوهلة الأولى شخصًا يمسك دفتره ذاهبًا إلى المعهد أو المركز لأخذ حصة "خصوصي" من أي مكان آخر، كثير الدراسة لا يخرج أبداً، كثير الشرب "للنسكافية" أو القهوة، دائم السهر يزداد وزنه لا يهتم لمظهره. هذه الصورة التي تتكون على مخيلة الشخص عند سماعه كلمة طالب "التوجيهي" وهي الصورة الفعلية في المجتمع.

الأحداث نفسها والمنظر نفسه والصعوبات نفسها عدا عن ظروف الفرد التي تحصل معه بعيداً عن المسلمات وهذا من المشاهد البطولية الذي يبين مدى شجاعة الطالب تبعًا لقوة الظرف.

عند اقتراب الامتحانات سواء التجريبية أو الوزارية يُصبح الطالب مشتتاً مضغوطاً يتراكم عليه من المواد، ولا يعرف ماذا يفعل، ومن أكثر ما يلفت نظر الطالب هو صعوبة دراسة الفصل الأول مع الثاني وكيف يستطيع الدراسة.

وهنا يرجع الأمر إلى عقل الطالب إما البكاء وإما ترتيب الأمور، وضغطه على نفسه عن طريق الدراسة المكثفة.

مهما حدث فهذه الأشياء يجب أن تحصل أو من دون المبالغة القليل منها. ستمر الأيام وستحمل معها لربما مللاً كثيراً وتعباً مرهقاً وأياماً سوداوية وذهناً مشدود الفكر لا يهنأ بالنوم، فقط يحاول أن يستذكر دراسته ويعاني من النسيان أحيانًا، لكن هذه الأحداث لا بد وأن تحصل ومن جميع الجوانب الايجابية والسلبية لقد ركزت على السلبية حتى أغير من فكر من يعيشها.

نفس وطئ الأقدام وموضع الأيادي من الطالب السابق يمر بها الطالب الذي لحقه من الجيل الذي يصغره بعام وهكذا حتى يتغير نمط الحياة بأكمله.

التغيّر الجذري بالتوجيهي

وإن كانت المسلمات كثيرة ومسمّرة لا تتغير، والأحداث مملة ذو روتين ممل لا بد أن تخرج الأمور عن السيطرة ويحدث التغيير لا بد وحدوث الثورة التي تُغيّر من النظام الثابت.

منذ الأزل والبشر في تغيّرٍ مستمر وروتينهم اليومي يتغير عدا ثوابت الأكل والشرب والنوم ولربما قد تجد فرقًا بين الاصطياد والتسوق.

مثلما تطور البشر من أفراد إلى عائلات إلى قبائل إلى مجتمع إلى مجتمعات إلى وطن لا بد من وجود شيء كذلك، النواة تتطور وكل تطور يأتي من القِدَم.

ومنذ دخول الانترنت عالمنا وتطور التكنولوجيا لا بد وأن يطرأ تغيّر على سلوك البشر فالتطور لا يأتي عبثًا أو من فراغ.

"التوجيهي" بجميع فروعه كان له نصيب من تغيّر الأحداث والتطور.

كلنا نعرف أن "الخصوصي" يلعب دورًا أساسيًا في هذه المرحلة، مِنْ هنا خرجت فكرة المعاهد والمراكز و"الخصوصي المنزلي" بشكل عام.

أُعيد عليك سؤالاً وأغير الموضوع قليلًا، قد طرحت عليك سؤالاً قبل بضع صفحات من الآن، ماذا يخطر في بالك عندما تسمع كلمة "توجيهي"؟ أجبت نفسي حينها أنك ستتخيل طالبًا يحمل أشيائه ويذهب إلى حصته مع الاختلافات الشكلية التي تطرأ عليه وأخبرت قبلًا من أن الطالب لم يعد يحتار فقط من سيعطيني تلك المادة فقط بل على اختيار نوع "الخصوصي" إما عن طريق الإنترنت أو الطريقة التقليدية المتعارف عليها.

وأُخبرك أيضًا أن لا مناقضة في كلامي حيث أني أَخْبَرت أن هذه مسلمة من مسلمات "التوجيهي" والآن أقول أنها تغيّر جذري.

هذا ما كَسَرَ كأس المناقضة وأصبح مسلمة وتغيّراً في الوقت نفسه.

لم يكن النمط سائداً لكنه انتشر أسرع من البكتيريا لحظة الانقسام.

لم يعد طالب "التوجيهي" فقط مجرد شخص يمسك دفتره ويذهب لأخذ حصته ثم يعود.

أصبح الآن طالبًا الكترونيًا يسجل في إحدى المواقع التي تُعنى بإعطاء الدروس "الخصوصية" وهذه المواقع معروفة بشكل كبير في الأردن.

تطورت نواة التعليم حتى استطاعت بعض الشركات أن تغامر في هذا المجال قبل بضع سنين حتى انتشرت في الآونة الأخيرة، فصممت المواقع والروابط وضمت إليها الكثير من المعلمين المميزين من حول المملكة واستطاعت استقطاب عدد كبير من الطلاب وغيرت كثيراً من عقول الآباء نحو فكرة التعليم الإلكتروني.

وهنا أنشأ المعلمون أيضاً مواقع لهم وصفحات ومجموعات على مواقع التواصل الاجتماعي كافة وخصوصًا (الفيسبوك، اليوتيوب) وهنا لا بد أن يلحق بهذا المعلم العديد من الطلاب

ليكونوا مع معلمهم ينتظرون بثّه المباشر، منشوراته، أقواله بفارغ الصبر.

هنا لا بد من أن ينشط الطالب على مواقع التواصل الاجتماعي، يبحث عن الأسئلة إما المرتبطة مع معلمه الذي يتابعه أو الأسئلة العشوائية، يطلب بعض الاستفسارات ويعرض مشاكله لمن هم أكبر منه سناً لأنهم عاشوا نفس المشكلة من قبل أو لديهم الخبرة.

وهنا يلتقي الطالب مع أقرانه من جميع أنحاء المملكة وليس فقط أبناء صفه .

أصبح "الفيسبوك" خاصة نقطة جذب للكثير من الطلاب وعلى سبيل طرح المثال لتدعيم الرأي اضغط على خانة البحث وأكتب "توجيهي" ستجد العشرات من المجموعات، والصفحات التي ارتبطت كلها واندرجت تحت هذا العنوان.

موضع طرح المشاكل أصبح على مواقع التواصل حتى عند تقييم معلمٍ ما، ليأخذ لديه "الخصوصي" وفي بداية كلامي أخبرت أنَّ الأسئلة الأولى التي يطرحها الطالب على الذين سبقوه، لكن يختلف الوضع ويصبح السؤال عن طريق

الإنترنت فيتعرف الطالب على معلمين أكثر ويصل لأكبر عدد آراء من الأشخاص الذين يكبرونه أو من أقرانه وليس فقط أبناء صفّهِ وأصدقائه.

لا بد من سلبية الأمور أن تصنع أمر سلبي يؤثر على سمعة التعليم أو على أخلاق الطالب وتعامله مع مواقع التواصل.

فإنك لتجد العديد من نقاط الصراع وعنصرية بين بعض المعلمين فيما يخصهم في أندر الحالات، وبين طلاب كل معلم دون تدخل المعلم نفسه أو لربما بتحفيز منه!

لا بد ووجود العنصرية بين الطلاب، فلربما تجد الصف الواحد ينقسم إلى حزبين حزب الأستاذ هذا وحزب الأستاذ ذاك، ومع التطور لا بد من أن ينتقل إلى مواقع التواصل الاجتماعي فتجد حرباً أهلية نازعت حرب اسبانيا في العقد الثالث من القرن الماضي في حربها على التعليقات أو في بعض المنشورات.

وهنا لا أقصد بالمعنى الحرفي تقييم معلم! لأن هذا السؤال تتعدد آرائه والأغلبية العظمى من المعلمين ذو كفاءة وقدرة عالية وبهم تُبنى الأجيال.

لكن نقل الصورة، فيجب أن تُنقل دون تملق أو قيود لكن مع زيادة الكفاءة يحكم الأسلوب وعقل المتلقي لذلك تطرح الأسئلة وعلى كل من يحمل ذرة من الإجابة نشرها.

لكن مع ذلك تغلب العاطفة، وهي من أشد السلبيات فيحدث النزاع بين الطلاب لدعم رأيِهِ في أستاذه أو أستاذ معين وهنا تتضح الصورة دون أخذ القول.

ما يجب هو الاحترام المتبادل واحترام كل معلم وطلابه وترك الآراء بعيدًا بلا عنصرية لأن هذا الصراع من الأشياء التي لا جدوى منها ولا تؤثر على علامة الطالب مثلاً!

وقد تجد أحيانا أن يميل بعض المعلمين وهم طفرة وقلة قليلة إلى استغلال هذه المواقع بقصد الاستقطاب وهنا قد يتضرر الكثير من الطلاب فيفعل المستحيل ولا يُهمه شيء سوى أن يختار الطالب بطاقته، فيشتريها وتزيد من أرباحه دون الاهتمام بمصير الطالب فيلعب دور المعلم الحنون

والعطوف ويشتت الذهن بالكلام المعسول والخطط التي تجلب الربح دون إفادة للطالب.

كان هذا الأمر منتشراً وما زال عند الكثير من المعلمين الذين يعطون "الخصوصي" في المراكز بفعلهم المستحيل حتى يأخذ الطالب عندهم ويغضبون عليه إذا ذهب إلى معلم أخر.

هذا ما شهدناه ولا نحب رؤيته.

بيد أنّ هناك الكثير من المعلمين ضحوا براحتهم من أجل الطالب، حاولوا استغلال هذه المواقع للوصول إلى أعلى عدد من الطلاب لإفادتهم ولمصلحتهم فكانوا نوراً في سماء عتمة هذا التغيّر فلم يكونوا سوى قدوة وأمل فحققوا الإنجاز واستحقوا رزقتهم، وطلابهم صعدوا ولا ينسون فضلهم.

لا شك أن الله أودع الرزق في الأرض بشتى الطرق والوسائل الشرعية، وإعطاء "الخصوصي" أحد أنواع الرزق وهو جزء من تعب ذلك الأستاذ في معاناته مع الطلاب.

من التعليم الوجاهي إلى الإنترنت ومواقع التواصل، ولربما غلب الإنترنت وانتشر أكثر وهنا يكون الرزق عندما ينشر المعلم الحصص المجانية بنوايا مختلفة طبعًا لا نخوض بها

ولا نعلمها على شكل بثوث أو فيديوهات محملة على "اليوتيوب" وهذا ما يجلب الطالب لأخذ تلك المادة عند ذلك الأستاذ إذا لم يستغل الطالب وكان نوراً في سماء عتمة هذا التغيّر.

ولا شك أن الترويج والبيع والشرح وسؤال المعلمين كلها أصبحت عن طريق تلك المواقع التي شرحتها بالتفصيل الغير ممل.

ولا ننس المجموعات التي أُنشئت لتقديم المساعدة للطلاب بمسميات مختلفة عن طريق الطلاب نفسهم وهذا ما لم يكن يُخْيَّل للطالب قبل ذلك.

جميع قرارات الوزارة جميع التساؤلات جميع المشاكل التي تريد حلًّا أصبحت عن طريق التواصل، فأصبح الطالب يتخذ من هذه المجموعات رمزًا لإنقاذه من سؤال أرهقه فما عليه سوى النشر وسيجد الكثير من الحلول والأجوبة.

وهنا يعيش الطالب في ملاذه بين صفحات ومجموعات مواقع التواصل حتى يكمل دراسته.

لا ننس التشتيت الذي يضيع الطالب أحياناً إذا لم يسيطر على جوارحه واستغلال وجود الهاتف أو جهاز الحاسوب معه كي يدمن مواقع التواصل أو يدمن لعبة معينة سوف تقضي على مستقبله.

ما أجمل بث الطموح بين أفراد الجيل الواحد والتعرف على بعضهم البعض وبناء العلاقات وخصوصاً إذا كانوا يشتركون في الطموح نفسه فيشكل المنافسة فيما بينهم أيضًا ويشجعهم على الدراسة.

لا بد من خروج الوحدة بين الزحمة، ولا بد من وجود سلبية في كل ايجابية.

قبل صفحات مضت كنت أتكلم عن ذلك الشخص الحقود ربما! الذي يحاول نشر روح السلبية بين زملائه حتى هذا الطالب تحول إلى حساب الكتروني فيقوم بنشر الشائعات التي تؤثر على مشاعر الطلاب ومشاعر الطالب الجياشة الطبيعية لربما تكون أشد على مواقع التواصل فأي كلمة تخرج لابد وأن تؤثر وتسبب الإحباط.

ومن صور أقوال هذا الطالب منشورٌ يُنْشَر، أو مجرد تعليق بسيط.

ولربما تجد الكثير يقومون بنشر أسئلة لا وجود لها في المادة الوزارية المقررة وهذا ما يدمر نفسية الكثير من الطلاب ظنّا منهم أنهم غير متمكنين من المادة وأن هذا مؤشر سيء لما سيجري معهم مستقبلاً.

يجب التأكد من دقة الأسئلة، ونمط الوزارة ثابت، والمادة موجودة وهذا ما لم يحصل عليه التغيّر منذ الأزل.

فجأة وبثقة تامّة في سردي تتغير صورة طالب "التوجيهي" في مخيلتك فلم يعد مجرد ذلك الشخص هزيل المنظر بحجة"أنا توجيهي ما معي وقت ازبط حالي"

يظهر على ملامح وجهه الحالة النفسية المدمرة يحمل دفتره أو "دوسيته" ويذهب لأخذ الحصة إلى حساب على إحدى المواقع يستفسر ويسأل ويجاوب في بعض الأحيان على المجموعات والصفحات وينشر عن "التوجيهي" وينتقدها أو يمتدحها وهو من النادر حدوثه في عدة منشورات أو تعليقات.

من الضغط المجتمعي "ايش يا توجيهي" إلى الضغط المجتمعي الإلكتروني ونفس الكلمة لم تتغير "ايش يا توجيهي".

حسنًا نختصر هذا الكلام بأن التغيّر الذي جرى كان جوهرياً له الكثير من الإيجابيات والسلبيات، تغيّر من خلاله نمط طالب "التوجيهي" ويومه فلم يعد ذلك الطالب الذي يعتمد على مجموعة "دوسيات" مسمّرة قديمة، لكنها تتجدد مع الجيل وعلى حصة تعطى في معهد أو مركز بل إلى طالب يجد أمامه الكثير من "الدوسيات" للكثير من المعلمين والكثير من الأسئلة، والكثير من المعلمين يحمل حزم الإنترنت الخاص به لتشغيل تلك الحصة وهو يجلس على مقعده من دون الظهور للمجتمع على هيئته التي أخبرت عنها سابقا.

قصة جيل ٢٠٠٢

قف هنا، تمهل بالكلمات، أهمل ما سمعته مني سابقاً خذ موعظة هذه القصة التي اندرجت في قصص ألف ليلة وليلة.

هذه القصة هي من أطالت في عمر شهرزاد وسببت نوعاً من الفضول عند شهريار وهي ما كشفت صراعه مع نفسه حتى لا يفكر في نهايتها، لكن قد يقتل الفضول أحياناً.

تسليط الضوء قد يُحدث عمى، تسميع القصة يؤثر على طبلة الأذن، وثرثرة اللسان تتعبهُ.

هذا الفضول لم يسيطر فقط على عقل شهريار بل على عقول الكثيرين من قبل، أتقمص شخصية شهرزاد وألعب دور الراوي، لكن هل سألقى حتفي كما لقت حتفها بعد أن أخبرت القصة كاملة؟

كمثل القضية السياسية تتعدد الآراء ويقف الناس أحزاب وجماعات وتشتعل حرب أهلية، كالحرب بين الطلاب من أجل عنصرية بعض المدرسين.

أخبرتُ في المقدمة قبل أن أخوض بكلامي وتسأم مني الحروف لكثرة تكريرها، أن كل جيل يرى نفسه أعظم من الآخر ومن هو داخل النار يتضرر أكثر من الجالس الذي لا يشعر بشيء ويناظر من البعيد.

مناقضات كثيرة أدت بكثير من الطلاب إلى الاكتئاب، والدخول في حالة نفسية منخولية؛ وهذا ما دفعهم إلى كتابه كلمات فصيحة حول مفهوم خسارة الحلم ومن ضمنهم أنا!

تبدأ القصة عند وصول جيل ٢٠٠٢ إلى ذلك الجدار حتى يبدأ التسلق كأي جيل أخر.

ولكن يخدع الضباب الناظر نحوه حتى يوهمه بالوهم، فمن كثافته لا يميز الشخص ماذا يوجد فيظن الجرف طريقاً ويظن الجبل جداراً!

ومتى يقل الضباب وتتكشف الرؤية؟ بعد قطع مسافة من التسلق وهنا تكتشف أن هذا الجدار العتيق هو بالأصل جبل عظيم لكن من شدة ارتفاعه كساه الضباب، والمشاهد لهذا الأمر في البداية يظنهُ مجرد جدار بليد، لدرجة أنه أوهمني بهذا الشيء من شدة الضباب حتى كنت أكتب جدار في كل

لفظة سابقة لكن الآن انقشعت الغيوم بعيداً وظهر بصورته الحقيقية لجيل ٢٠٠٢ بعد أن أزالت تلك النيران الضباب واتجه لهيبها نحو المتسلقين.

يُكشف السر هنا ولربما بقي هذا الجبل متنكراً حتى سَئِم من تنكره فخرج على حقيقته، وحان الآن فضح هذا السر ومن نقطتي هنا أكتب هذا ليس جداراً بل جبل عظيم فيه الكثير من الأشياء الغير متوقعة عليك توقعها!

لا أفهم حقًا بالفعل، لا أفهم كيف أنَّ هذا الجبل خدع البصر وكيف الضباب غطى وأوهم، وكأنه سرابٌ يجعلك تهذي في وسط الصحراء، بالأصل لا فرق بين نار الصحراء الحارقة والنار التي قشعت الضباب كلها مصادر للطاقة الحرارية.

اكتفيت بهذه المقدمة حان الوقت لسرد القصة من البداية.

منذ أن تكونت حكومة الدكتور عمر الرزاز الذي كان متسلّماً لمنصب وزير التربية والتعليم في حكومة الدكتور هاني الملقي في الرابع من يونيو من العام ٢٠١٨ كان لابد من تعيين وزير تربية جديد يشغل هذا الشاغر عندها تعيّن الدكتور

وليد المعاني في ٢٢ يناير ٢٠١٩وزيراً للتربية والتعليم وكان هذا ليس مجرد تعديل في الوزارة بل لنظام الامتحانات حيث أُقر نظام الفصل الواحد أي أن تكون السنة الدراسية ممثلة بفصل واحد ليس على فصلين أو دورتين الدورة الشتوية للفصل الدراسي الأول في الشهر الأول من السنة والدورة الصيفية للفصل الدراسي الثاني في منتصف السنة بل إلى دورة واحدة وهي الدورة الصيفية ويندمج فيه مادة الفصل الأول والثاني.

ولأن هذا التغيّر كان جديداً على الطلبة ولأنه أدى إلى زيادة المادة المطلوبة وزيادة الأعباء على الطالب أحدث هذا القرار ثورة عظيمة وقد كان أشبه بفخ موجع لكثير من الطلاب وفق آرائهم.

وككل قضية نقاش تتعدد وجهات النظر وخصوصاً عندما يكون الشخص في مرحلة حساسة، ذو مشاعرٍ جياشة وأي تغيير في هذه المرحلة سيؤثر على نمط دراسته وطريقة حياته لسنة كاملة أو تؤثر على مستقبله.

منهم من برر أن هذا القرار ظالم، ذو عدوانية على مستقبلنا وكتبوا المئات من السلبيات، ومنهم من أخرج الإيجابيات من وسط المشهد الهائل من الانتقادات.

لكن ما عبّرت عنه الوزارة هي مجرد تجربة ولا بد أن تُطبق وحينها ألقى بعض الأشخاص من جيل ٢٠٠١ أسماءهم فئران التجارب.

مرت السنة طبيعية جداً إلّا مِنْ تخوّف الطلاب أنْ يُعدْل القرار في أي وقت، وبهذا نعود إلى نظام الفصلين لكن لربما الخيال الخصب يجلب الكوابيس، وبالفعل طُبّق القرار وحان وقت الامتحانات التي كانت على شكل دورة صيفية ابتدأت في ٢٠١٩/٦/١١.

يأتي موعد النتائج أخيراً وهنا حدث التغيير بإعلام الطالب الذي يندرج من ضمن العشرة الأوائل على مستوى المملكة بالقدوم إلى المؤتمر الصحفي لوزير التربية والتعليم.

وجاء المؤتمر في العاشرة صباحًا وحان الوقت للإعلان عن صاحب المركز الأول ومعدله فيصطدم الشعب ويفتح كلتا عينيه محدقاً بظهور معدل مئة في الفرع العلمي رُغم وجود

موضوع تعبير! وهذا ما أذهل العقول وتسعة أخرون قد حصلوا معدل ٩٩,٩ فيصبح هذا الحدث الرائج الذي ينتقل على كل لسان مثل كلام الجارات.

وهنا أخبر الشعب أن ما هذا سوى لإنجاح نظام الفصل الواحد.

وحان الآن الموعد مع ٢٠٠٢ للدخول في المرحلة ينتشر التخبط بين جميع الطلاب لأنهم قالوا ما جرى مع ٢٠٠١ هو مجرد حظ لإنجاح فكرة نظام الفصل الواحد وأن عامنا هذا سيكون مجزرة بعد نجاح التجربة.

بدأت الخطط من قبل بعض الطلاب للمظاهرات والخروج في مسيرات لإرجاع نظام الفصلين أو تفعيل "الهاشتاج" حتى يصل إلى أهل القرار فيتغير كل شيء.

وبعد كل هذا تأتي المدرسة أخيراً وأصبح الآن طالب ٢٠٠٢ ملقب بالفعل ب "ايش يا توجيهي" لتبدأ الانطلاقة الفعلية في حين يبقى الترقب حول مفهوم نظام السنة الواحدة والفصلين الذي كان أكبر تلك الهموم في تلك الآونة.

الخامس من شهر أيلول تأتي مسألة مفاجئة أَنْسَتْ الطلاب قرار الفصل الواحد. في ذلك اليوم خرج المعلمون مسيرة حتى يتم تذكير الحكومة بعلاوة ٥٠%.

ومن يومها تتعطل المدارس بسبب الوقفة الاحتجاجية والإضراب فيتضرر عدد من الطلاب الذين يعتمدون على مدارسهم وعلى معلميهم.

تستمر النقابة على رأيها وبالمقابل من أجل تعقد الأمور وتشابكها تصّر الحكومة على رأيها.

وهنا تبدأ الاجتماعات والمفاوضات التي أصابت الطلاب بالفضول حول هذا النزاع، إلى أين سنصل؟ فأصبح الاهتمام بهذه المنافسة أكثر من الدراسة وكانت رسالة لم يتنبّه إليها أحد أن هذه السنة سوف تكون عظيمة عليكم.

النشرة الإخبارية هي البرنامج المفضل للكثير من الطلاب وبالأصل كان البرنامج المفضل عند الآباء فأصبح الطالب يشاهد تلك النشرة مع والديه وهو يترقب وكأن نتائجه التي سوف تظهر!

والقصة أصبحت العنوان الرائج على مواقع التواصل.

تخيل معي عندما يحدث الخصام بين الأبويين المتضرر الرئيسي الأبناء وبكل بساطة هذا ما جرى!

كانت هذه أطولُ مدةٍ لإضراب المعلمين الذي استمر قُرابة ٣٠ يوماً وفي تلك المدة يتوقف التعليم في البلد بأسره وهو ما منع مليون ونصف مليون طالب عن الذهاب إلى مدارسهم.

بعد كل هذا النزال المرير وبعد أن تصدّع رأس الطالب من الحركة يميناً ويساراً ناظراً إلى الأطراف المتنازعة، تُحَلُّ هذه القضية ويتفق الطرفان. حان وقت العودة إلى الصفوف، وحان وقت "التوجيهي" للعودة إلى مدارسهم أخيرًا.

عدنا، عاد "التوجيهي" إلى مكانه الأصلي عادت الحياة إلى طبيعتها رغم أن القسم الأكبر من الطلاب يعتمد على دراسة "الخصوصي" بَيْدَ أنّ هنالك مجموعة من الطلاب يعتمدون على المدرسة كتغذية راجعة ومن أجل الزيادة في تنوع المراجع، والأفكار، والشرح.

وبعض الطلاب يعتمد في مواد معينة على المدرسة فيستفيد أكثر والبعض الآخر وليس البعض بل الكل يجد المدرسة مكاناً للترفيه عن النفس والخروج من الضغط النفسي،

والعائلي، والمجتمعي فهو مكان بعيد عن كل الناس يتواجد فيه الأصدقاء، الأقران "التوجيهي" الذين يعيشون نفس الظروف والأحداث فيستفيد المرء من أصدقائه فيتساعدون ويتنافسون فيما بينهم وعلى عموم التأكيد يتم الترفيه عن النفس ويتشاركون اللحظات.

عادت الحياة وعادت الأمور إلى مجراها وعادَ هَمُّ الطلبةِ مرة أخرى، نظام الفصل الواحد.

٢٠١٩/١٠/٢٧ قدم وزير التربية والتعليم الدكتور وليد المعاني استقالته من منصبه.

هنا يقف كل طالب وينتظر من سيأتي من بعده وهل سيغير من نظام السنة الواحدة أم لا؟

كان هذا سؤال الشارع وبنفس الوقت كان كل طالب متخوف حول مفهوم القرارات ونمط الامتحانات ومدى صعوبتها.

من البديهي جداً عندما أتت أسئلة ٢٠٠١ مختلفة وسهلة نسبياً وعندما تفاجأ الجميع بالمعدلات المرتفعة فإن الجيل الذي يتبعهم لن يكون كذلك.

لأنه كما قلنا ما حصل مع ٢٠٠١ هو فقط لإنجاح نظام الفصل الواحد.

كانت كل الأمور مهيأة لتغيير أي شيء وكان هذا بمثابة فيلم رعب لعدد من الطلاب الذين لا يعلمون، هل يدرسون أم يشاهدون نشرة الأخبار.

وهنا عُيّن الدكتور تيسير النعيمي وزيراً للتربية والتعليم وأول قرار خرج به هو الحفاظ على نظام السنة الواحدة.

وقعت الواقعة وثُبّتَ القرار وفات الأوان، أُقرَّ نظام السنة الواحدة وحان وقت كل طالب أن يستعد لميعاد الدورة الصيفية.

وبعد هذا كله وبعد الحياة الطبيعية والعادة الروتينية المملة ملّ العالم من الأحداث المتكررة وسئمت القنوات الإعلامية والإعلاميين من نقل الأحداث نفسها والأطراف نفسها والحروب والأسلحة نفسها، وسئم العالم من النزاع السياسي الممل ومن نفس الأحداث التي تُقال في كل قناة أخبار في مواقيت مختلفة.

جاء شيء أهم أخرج الإعلاميين من ضيقهم وأخرج العالم من روتينهم الممل لتغيير نمط حياتهم وحقق أرباحاً للشركات الإعلامية لزيادة عدد المتابعين.

في بداية شهر ديسمبر من العام ٢٠١٩ تنتشر في مدينة ووهان الصينية عائلة فيروسية ذهبت تتنزه بين البشر في تلك المنطقة.

فيروس كورونا أو (كوفيد_١٩) البرنامج الوثائقي، فيلم الرعب القاتل، الحرب العالمية الثالثة، هو مَنْ كشّرَ عن أنيابه وظهر للعالم ليخرِجَهُم من حالة الملل التام إلى الإثارة والرعب.

ليس فيلماً للخيال العلمي، وليس مجرد فيلم رعب مشؤوم يقوم على سيناريو مقلَّد لفيلم رعب آخر، وليس مجرد حرب استُخدِمَتْ فيها الأسلحة الثقيلة والتدمير والقتل بين البشر أنفسهم، لا بل حرب طبّية جمعت البشر في طرف وهذا الفيروس الذي لا تراه العين المجردة في طرف.

وصل البشر إلى الفضاء وأهلكوا قشرة الكرة الأرضية من قوة الأسلحة المستخدمة قتلوا الملايين تطوروا في جميع المجالات والنواحي كمبدأ "داروين" الذي نص على تطور

الجنس البشري شكلياً وعقلياً، دون الدعم لرأيه لكن على سبيل طرح مثال التطور، لكن للدماغ البشري قدرة عظيمة كيف لا وهو خُلِقَ بإعجاز عظيمٍ من الله!

كل هذا ولم يستطع العقل البشري إيقاف هذا الكائن الصغير الذي ولد من طفرة، ليس له عقل أو تاريخ لكنه أجبر جميع البشر على الإتحاد والوقوف إلى جانب بعضهم ضده، ومع ذلك لم ينجح شيء!

وصل البشر في الطب إلى ما وصلوا لكن ما فائدة الوصول إذا لم يصلوا إلى لقاح للتغلب على هذا الفيروس؟

قصة مثيرة، وحرب بلا أطراف تشجع كل مخرج وكاتب لإنتاج فيلم بهذا الخصوص فسوف تشب حرب بين شركات الإنتاج وبين الكُتَّاب لإنتاج فيلم، مسلسل، رواية تحت عنوان فيروس كورونا وهو ما حفّز الباحثين في كتابة مواضيع شيقة عن هذا العنوان الذي سيجلب الملايين لشركات الإنتاج والممثلين والكتاب.

لم تعد قصص الشياطين مرعبة! بل هذا الفيروس هو المرعب وكأنه فيلم للخيال العلمي يتنبّأ بالمستقبل المخيف.

الحادي عشر من مارس من العام ٢٠٢٠ أصبح جائحة.

جمل مهمشة، كلمات رخيصة كانت مني حتى أتملق الفيروس حتى لا يعتدي على كائن ضعيف مثلي إذ إن الدول الكبرى عانت منه، فهل أنا البطل الذي سيتغلب عليه مثلا؟

هذا الفيروس الذي كنا نسمع عنه في نشرات الأخبار انتشر في كل أنحاء العالم والأردن جزء من هذا العالم.

٢٠٢٠/٣/٢ أعلن الأردن عن أول حالة كورونا وصلت إلى البلاد قادمة من ايطاليا وهنا يبدأ الأردن قصة الفايروس حتى يعتمد على الحياة الرقمية وافتقاد الحياة الواقعية.

الساعة السابعة من صباح يوم السبت الموافق ٢٠٢٠/٣/٢١ تطلق صفارات الإنذار أصواتها حتى اختنق حلقها من فرط الصوت لتقول مُعلِّقة "بدأ الحظر الشامل في جميع أنحاء المملكة وإغلاق جميع القطاعات بما فيها التعليمية".

توقفت المدارس، ليست المدارس فقط بل حركة الشارع بأكمله وهنا تم إغلاق المراكز بشكل كامل.

أكثر الطلاب يعتمدون على المراكز أكثر من المدرسة لأن "الخصوصي" في هذه المرحلة هي أهم مرجع للطالب واعتماد الطالب الحقيقي .

هنا يحدث تخبط موجع في الوسط حتى على صعيد التعليم الإلكتروني أُغلقت الشركات مؤقتاً وعدم إمكانية الوصول إليها للتصوير من قبل المعلمين.

يعم الخوف على قلب كل طالب وقلب كل فرد من كل عائلة لديهم طالب "توجيهي".

كان هذا في بداية الفصل الثاني ولا زالت هنالك مادة لم يتم ختمها ولازالت المادة بحاجة للمزيد من الحصص والدروس وخصوصاً مادة مثل الرياضيات.

يترك الطالب المواد التي كانت تعتمد على دراسته الخصوصية ويحدق بالمواد الأخرى حائراً.

وكان على الامتحانات أن تدق أجراسها ويحين موعدها بوقت يناهز ما بين (٢_٤) أشهر وكان شهر ٤ شهر الختم عند بعض الطلاب على حسب توقع من قبلهم لكن يغلب الواقع الفرض!

هنا يتغير"التوجيهي" كما أخبرت سابقًا وأصبح الكثير من المدرسين ينشرون الحصص عن طريق الفيديوهات أو فيديوهات البث المباشر ومن هنا بدأت الانطلاقة الفعلية ومن جهة أخرى قامت الوزارة بالنقل إلى ما أسموه بالتعليم عن بعد عن طريق إطلاق منصة الكترونية "درسك" بالتعاون مع القناة الرياضية الأردنية حتى يتم بث الحصص من خلالها وبالتعاون مع عدد من الشركات والمدرسين.

هنا حاولت الحكومة التعويض عن طريق اللجوء إلى هذا الأسلوب وهنا ينقسم الطلاب إلى مستفيد وغير مستفيد وكانت النسبة الكبرى تبدي انتقادها على سرعة الشرح أو عدم فعاليته أو وجود الكثير من الأسئلة التي تحتاج للتواصل المباشر مع المعلم.

كان لا بد من الحلول الجذرية من قبل الطلاب أنفسهم إما بأخذ الحصص في البيوت أو استغلال "الفيسبوك" الذي كان ممتلئًا بالمعلمين الذين استغلوا هذه الجائحة للإفادة.

ومن هنا كما شرحت سابقا تحدث ثورة تكنولوجية تدخلت "بالتوجيهي" ويغير الطالب نمط تعلّمهِ.

أصبح "الفيسبوك" موقعًا مهما للطلاب حتى تجد جميع ٢٠٠٢ دون مبالغة نشطًا إما على مجموعات المعلمين أو يبدون آراءهم عن الجائحة أو التعليم عن بعد عن طريق المنصة أو الاثنين معًا.

وهنا تتجه الأنظار إلى الوزارة فأغلب الطلاب فعلوا خاصية المشاهدة أولًا على موقع الوزارة لمعرفة القرارات القادمة وما رأي الوزير في هذا الشأن وحتى يتم استثناء هذه السنة عن باقي السنوات بسبب توقف التعليم الذي حدث نتيجة الظروف المفاجئة التي حصلت مع هذا الجيل نَحِسْ الحظ.

استنكر مجموعة من الطلاب مدح رئيس الوزراء الدكتور عمر الرزاز ووزير التربية والتعليم الدكتور تيسير النعيمي التعليم عن بعد.

القرارات لا زالت منتظره وكل يوم يتم لقاء مع أحد ممثلي الوزارة على قنوات الإعلام وطالَبَ الطُّلاب حينها بحذف جزء من المادة أو أن يكون التركيز على مادة الفصل الأول.

أصرت الوزارة على رأيها في البداية بعدم الحذف وأن التعليم عن بعد قد حقق نجاحًا عظيمًا ولا يوجد داعٍ لجعل "التوجيهي" حالة خاصة.

في نهاية الشهر الخامس من العام ٢٠٢٠ أُقرّ نمط جديد واعتُمِدَ نظام آخر"للتوجيهي" وهو النظام الموضعي الكامل واعتبار ورقة الماسح الضوئي بدلًا من دفتر الإجابة كمصدر أساسي للتصحيح وحذف الوحدة الأخيرة من كل مادة.

وهنا يبدأ الانتقاد من قبل جيل ٢٠٠١ وجيل ١٩٩٦_١٩٩٨ الجيل الذي يعتبر أن "التوجيهي" لم يكن شديداً إلا على دورهم لأنهم عاصروا الدكتور محمد ذنيبات وبحسب الشائعات التي تقال كانت الأسئلة صعبة وكانت الأنظمة حازمة جداً في حين بعد الإطلاع على الأسئلة لم تكن الأسئلة بتلك الصعوبة فقط سؤال واحد في مادة الرياضيات لدرس المعدلات المرتبطة بالزمن وأن ما حصل هو اعتماد الإجابة النموذجية ولكن للأسف لم يكن الطلاب يحفظون بالنص الحرفي وأمور أخرى لا أعرف بها شيئا

وبالأصل جيل ٢٠٠٢ قد امتحن امتحاناتهم وبكل سهولة لكن كلما أُعلنت نتيجة "للتوجيهي" بدأ البعض يتذكر تلك الحقبة!

أما فيما يخص جيل ٢٠٠٢ ضج الشارع بالاعتراض، وبدأت المفاوضات لتعديل القرارات ولم يتبقَ سوى شهر واحد عن أول امتحان في ٢٠٢٠/٧/١ مهما تكلم الطلاب وأبدوا اعتراضهم لن يفيدهم شيء لأن رفع الصوت يؤدي إلى اختفائِه وكثرة الحديث تؤدي إلى عدم سماعه والملل منه طُبّق القرار وحان وقت الامتحانات أن تطرق الباب مع أول امتحان الرياضيات.

جاءت الامتحانات بعد معاناة عظيمة من أحداث مرت على الجيل، من إضراب للمعلمين ثم كورونا والانقطاع التام عن الدراسة وتغيُّر أنماط الدراسة وتغير نمط الامتحان في اللحظة الأخيرة.

حسنًا حان وقت تحول الطالب إلى كائن بدائي.

كانت الأسئلة باتفاق الأغلبية العظمى سهلة وبسيطة إلّا أنّ بعض المواد إما سؤال خطأ أو متعدد الإجابات ثم تنتهي الامتحانات بعد أرقٍ طويلٍ كان هذا في ٢٠٢٠/٧/٢٣ التي

انتهت بمادة التربية الإسلامية حيث أتى سؤال يطرح فكرة صلاة المرأة في المسجد يوم الجمعة فإذا صلت هل تصح صلاتها فرضاً أو تطوعاً؟

يتشتت الفريقان هنا وما فعلته الوزارة هو احتساب السؤال للبعض، وحرم البعض من علامته حتى لو كانت نفس الإجابة.

٢٠٢٠/٨/١٥ تخرُج نتائج هذه السنة بترقب شديد من قِبَل الجميع، يعم الطرب في المكان فلا تسمع إلا صوت الاضطراب والاستغراب، كانت المعدلات أشبه بالخيال!

ثمانية وسبعون طالبا حصل على معدل مئة واحد وسبعون طالب من الفرع العلمي وسبعة طلاب من الفرع الأدبي عدا المعدلات المرتفعة الأخرى.

عم الشك المكان من خلال تَدَخُّل شيء في تصحيح ورقة الماسح ووُضعت الفرضية التي نصت "ما حصل فقط هو لإنجاح نظام الماسح الضوئي ولإثبات نجاح التعليم عن بعد".

استاء الطلاب من الحادثة إذ أن نظام المساح الضوئي نظام غير عادل لربما يُسهّل على الطلاب الذين لم يدرسوا الغش أو التظليل العشوائي فينجحون بكل بساطة!

في حين كان هذا كابوساً عند الكثيرين بسبب تغيير الإجابة أو التفكر بالخيارات ما حصل كان مضاداً للمنطق فيعاكسه ويدعم اللامنطقية إذ أن النظام الموضعي من أصعب أساليب الاختبارات فكيف لطالب أن ينجز كل المواد دون لخبطة ولو بدائرة في مادة، هنا قد تسائل البعض عن وجود تلاعب في ورقة الماسح الضوئي.

شكا البعض من عدم تطابق العلامات وهذا فعلًما ما حدث فكانت مصادر تصحيح الطالب صحيحة فكيف له أن ينتكس بعلامته!

وأصبحت تجد طالبين نفس الإجابة أحدهم علامته كاملة والآخر تنقصه تلك النقطة، وتجد الطالب الذي لم يدرس قط نجح بكل بساطة! والطالب الذي تعب وشرب عرقه آخر الليل بداية الصباح خرج بمادة أو بمادتين!

لم تكن النتائج مرضية لا لجيل ٢٠٠٢ ولا للمتفرج رغم فرحة المعدلات التي لم تشهدها المملكة مِنْ قَبل، فجرى الاعتراض والتذكير بما جرى في السنوات السابقة وكل جيل يرى نفسه أعظم.

لم تتغير الأمور وما زاد من فرط الوجع حتى ظهرت نتائج التعليم العالي للقبول الموحد، في هذا اليوم الذي يُصنف فيه الطالب، قد أثار ضجّة عارمة ملأت سماء الوطن بصخبها.

ارتفعت معدلات "التوجيهي" فزادت من معدلات كل التخصصات وهذا ما أحدث صدمة فالطالب الذي حصّل معدّل فوق التسعين وما دون التسعة والتسعين، لم يكن من نصيبه تخصصات طبية ربما! إما قُبِلَ بتخصص غير منطقي أو سوء اختيار.

ومن هنا بدأت ملحمة أخرى عند الطلاب إذ تحطموا بسبب هذا، فالذي نجح والذي حصّل معدل فوق التسعين تساووا عند التعليم العالي في نتائج القبول الموّحد.

وبعد جميع الانتكاسات وبعد أن تساوى من نجح ومن تفوق بعلامته، ولكن مَنْ حصّل المعدّل الأقل هو الفائز مع تدخل الواسطة وهو ما جعل أشياء غير منطقية تحدث.

أعلنت الوزارة عن التقدم للدورة التكميلية مطلع العام الجديد فتقدم ٩٤ ألف طالب، البعض تقدّم لرفع المعدل أو لاستكمال متطلبات النجاح وأكثر من تقدّموا كانوا من أصحاب المعدلات العالية لأنهم لم يستفيدوا من معدلهم شيئًا.

أتى التكميلي لهذه الدورة وكان مختلفًا عن الدورة التكميلية للدورة الصيفية ٢٠١٩ لأنّ تلك الدورة كانت بعد النتائج مباشرة وتم توحيد طلب القبول الموحد مع الدورة هذا العام أما فيما يخص هذه الدورة فكانت في ٢٠٢٠/١٢/٣١ لتكون دورة شتوية وأُقْرَ فيها زيادة الوقت وزيادة عدد الأسئلة إلى خمسين سؤال وكانت الأسئلة أقوى بكثير من أسئلة الدورة العام وانتهت الدورة في ٢٠٢١/١/١٦ وجاءت أخيرًا النتائج، ٤٤ طالب حصّل معدل مئة ومعدلات أخرى عالية لكن نجح الكثير من الطلاب الذين لا يستحقون النجاح ولا يعرفون كتابة أسمائهم بالمقابل هنالك علامات غير منطقية، فأنْ تُثبت العلامة مثلًا

على معدل ٢٠٠/٩٣ هذا غير صحيح؛ لأن النقطة الواحدة عليها أربع علامات فلا يظهر هذا الرقم الفردي، كانت النتائج ظالمة للبعض؛ لأن الغش في هذه الدورة انتصر وكثير من العلامات كانت خاطئة ومشكوك بأمرها لكنها وقعت الواقعة ونال هذا الجيل ما لا يحسُّ به أحد من المتفرجين.

انتهت كلماتي، فاضت مشاعري، رويداً رويداً أكتبُ كل كلمة بصمت موجع، بضحكة خفية، بتحسر شديد بفرح كتوم كان الشعور مناقضاً لما جرى.

لكن لا تكون القصة ذو تأثير خاص إلّا على مَن عاش في تلك السنة.

كان الناس يتكلمون عن نحس ٢٠٢٠ كثيرًا وجاءت نتائج "التوجيهي" في تلك السنة وفعليًا منذ دخول ٢٠٠٢ إلى هذه السنة تنغلق كل الأمور بوجه البعض.

إيجابيات كثيرة وسلبيات مساوية عدد من الطلاب وصل إلى حلمه وعدد من الطلاب تأخر وصوله بعضاً من الوقت.

ظُلمٌ كثير، وعدالةٌ في كثير فعاش كل طالب حياته الخاصة في ظروف متشابهة تحت مسمى واحد وهو "التوجيهي".

كثرة الكلام تجلب قِلّة الاهتمام، وعلى قدر نقد الشيء يكمن ثمنه. جزء مني ينازعني في هذه القصة وإني لأنتقد نفسي قبل كل شيء.

كما ماتت شهرزاد في تلك الليلة ماتت كلماتي هنا كان تناقض الأفكار في رأسي هو من رتب الكلمات المبعثرة حتى أصبحتُ أرى شريط ذكرياتي في هذه السنة هو من يكتب لا أنا.

الكثير أثبت قوته، ومدى صبره، كان اختبار الله له بأكثر ما يحب ويخاف الانتكاس به، لكن وجب الصبر حتى يُثبت نفسه.

كثير من الطلاب كتبوا عن فقد الحلم ومنهم أنا، كثير من الطلاب قالوا إن حلمنا قد مات! وهو لم يمت مات الشغف فقط فعلى المرء تجديده ليس إلّا.

مهما بلغت الصعاب مهما زاد وجع الانتكاسة مهما تضررنا من شدة الحماس الذي اصطدم بنهاية مأساوية ما زال الأمل يبعثر أشلاء الخسارات المتتالية التي حصلت.

كان هذا الجيل عظيم جداً لقد بنيت علاقات كثيرة من جميع المحافظات، وكنت دائم الدراسة للطلاب لا أجد فيهم سوى الطموح، والقدرة، والتعب والصبر. في نهاية المطاف كان هذا الجيل الذي يشهد الكل له بتفوقه وشدة احتكام المنافسة فيما بينه، جيل قوي وأضرب المثل بقصص نجاحٍ كثيرة، أبطالها طلاب عانوا وتعبوا وصبروا وما زالوا يصبرون ويتسلقون كلما سقطوا من منحدر.

ويبقى "التوجيهي" بشكل عام نقطة تحول كبيرة في حياة ذلك الشخص الذي بلغ سن الرُشد وحان وقت وصوله إلى ما يسعى إليه.

ذلك الشخص الذي يُسأل كل يوم من قبل الجميع "كيف المواد"؟ "كيف دراستك"؟ "شو ختمت"؟ وغير ذلك من الأسئلة.

يتصارع مع أهله ليناقشهم بأخذ استراحة وإقناعهم بأنه درس.

يستيقظ وينام على هَمِّ الدراسة وقلَّة النوم عامل مهم يلعب دوراً عميقاً فتجد الطالب غافياً على مكتبه كأنه جماد أو جزء من ذلك المكتب العشوائي.

يواجه الصعوبة في حفظ المواد وفهمها وتنظيم وقته، يشعر بالهزيمة والضعف ويصيبه الإحباط كل هذا وهو يفكر كيف يريد أن يرى دمع أهله فرحاً يوم نتائجه.

ترك جيل ٢٠٠٢ بصمة عظيمة ولربما يكون قدوة للأجيال اللاحقة في المستقبل.

دوّنت هذه القصة لتكون محطة انتظار يؤخذ منها الصبر وتوقع الأسوأ قبل الأفضل، لكن مهما حدث لا ننس الثقة بالله والثقة في تعبك والتحلي بالثقة والقوة مهما بلغت نتيجتك.

مهما تسمع من كلام جارح من بعض الأشخاص ذوي الأمراض العقلية بداعي الغيرة والحقد لا تتردد بإقناع نفسك بأنك ناجح عظيم ذو شخصية ريادية قادر على تحقيق المستحيل لكنّه تأخّر عليك لسبب تجهله وحتى لو سمعت تحطيم النفس من أقرب الناس إليك فالمرء ليس بقريب سوى من نفسه فليتحكم بها ويقوي من عزيمته ولا يستهن بقدرته التي مُنحت من الله.

يختبئ الأمل في تلك الزاوية التي لا تُرى أَحسِنْ مجهرك واستخرجه.

انتكاستك تلك ما كانت سوى اختبار من رب الاختبار للتقرب إليه فخرَّ ساجدا وادعو.

مهما كتبت عن فقدان الحلم، مهما بلغت حالتك النفسية المزمنة مهما ظهرت على ملامحك مظاهر التعاسة والحزن مهما بكيت حتى جفّ سائل عينيك لن يفيدك شيء سوى القنوط لذلك هدِّئ من روعك، أغسل وجهك، ثق بنفسك، جدد شغفك وكن على يقين أنك ستصل مهما بلغت بك الظروف وما أجمل لذة الوصول بعد مُرّ الطريق!

ثق بقدرتك من البداية أنْشِئ لنفسك طريقا ومهده، فَمَن طَلَبَ الوصولَ إلى الحلم عليه التضحية، الحروب لا تعرف الاستسلام فإما حدوث خسائر فادحة في الجيش فتتجدد الخلية بموت الخلية الأخرى ومن الموت تخرج الولادة! فينتصر الجيش بعد أَنْ قوِيَ عزمه فلم تحبطهُ جثث الأصدقاء على الأرض بل زاد من الرغبة في الانتقام فداءًا للتضحيات التي سقطت وأكلتها الغِربان.

وليحذر الجيش من نشر الطاعون في نفسه فيموت حيّاً وتبقى روحه تعذبه كلما تذكر سقوط الجثث أمامه.

عبارات مهشمة خَرَجت من طالبٍ من ٢٠٠٢ تأخر حلمه عنه بعد أن ذرف دموع عينيه، وتعب جسده، وقست أيامه، وفقد جزءًا من عقله.

خُذْ من الذين فشلوا في البداية؛ لأن الحكمة لا تؤخذ إلّا من مجربٍ عظيم حاول اليأس النيل منه لكنّهُ اتّحد مع الأمل بعد سلسلة الخسائر.

لم أحتمل يومًا ما جرى معي ولن أسامح نفسي على تلك الدمعة التي هُدِرَت من عينين أحبهما بسبب انتكاسة لي رغم أنني لم أبدل ملابسي البالية يومها ورغم أنني حَرَمْتُ خلايا وجهي من ملامسة الماء حتى بهت وإزرقَّ إلّا أني أثق بالزحمة من بعد التوحد. مهما قطعتُ كلماتي ولم أتكلم لمدة ونسيت الأحرف وترتيب الكلمات إلّا أنني لم أمت ما زلت أتنفس إذاً أنا حيّ! ما دمت حيّاً سأضحي في نفسي لا من حالتي النفسية التي دُمرت لكن البناء قيد الإنشاء ولن أستسلم.

في جعبتي الكثير من الكلمات التعيسة التي قد تراها شمعة للتعبير عن حالتك لكن سأنازع نفسي وأكتب عن الانتصار حتى لو لم أنتصر حتى لو شتمتني لملل كتابتي.

أَحيي ذلك العظيم داخلك، قف على قدميك وانتصر، أنت لا شيء دون الوصول، لا تسمح للذين شتموا فيك أن يتحقق شتمهم.

مستقبلك المزهر يبدأ بحفر التراب منك حتى يخرج من تلك البذرة التي زرعتها ودفنتها وظننت أنها ماتت شجرة عظيمة تعطيك ظلها في يوم حار أو تقي من مطر جارف في شتاء بارد.

اصنع قصّتك، وحقق النجاح، وكُنْ ملهمًا فكل الذين نجحوا في الحياة بدؤا من انتكاسة!

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	٣
المقدمة.....	٥
مسلمات "التوجيهي".....	١٠
التغيّر الجذري بالتوجيهي.....	٣٠
قصة جيل ٢٠٠٢.....	٤١
الفهرس.....	٧١